الاستعمار الإيطالي لأرتيريا: دراسةٌ في الأساليب والإكراهات (1885-1883م)

د. محمد البشير رازقي[1]

الملخّص

يروم هذا البحث المُعنون (الاستعمار الإيطالي لأرتيريا: دراسة في الأساليب والإكراهات ١٨٨٣-١٨٨٥م) تبيين الاستراتيجيّات التي وظّفتها إيطاليا لإنجاح مغامرتها الاستعماريّة في القرن الافريقي آخر القرن ١٩، في زمنٍ صعبٍ على مستوى التنافس الدولي على المستعمَرات. وقد اعتمدنا على نموذجٍ تفسيريّ مهمٍّ، وهو حالة استعمار إيطاليا لأريتريا أواخر القرن ١٩ عبر دراسة وثائق أصيلةٍ ومهمّةٍ، وهي وثائق الخارجيّة الإيطاليّة في الفترة الممتدّة بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥م، وقد استخلصنا استنتاجاتٍ كثيرةً من البحث وأهمّها أنّه لا يمكن لنا فهم سعي إيطاليا لمدّ نفوذها في القرن الإفريقي بمعزلٍ عن صراعات القارّة الأوروبيّة خاصّة، وأنّ إيطاليا توحّدت متأخّرًا (١٨٦١م)، وهذا ما حرمها من المستعمَرات بالمقارنة مع فرنسا وخاصّة إنجلترا، إلى جانب الدور المهمّ الذي لعبه المجتمع المحلّي لإجبار الدولة الإيطاليّة على ابتكار أساليب عملٍ كثيرةٍ منها التحالفات الداخليّة المتشابكة مع إكراهات الصراعات الخارجيّة.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار، إيطاليا، استعمار إفريقيا، أرتيريا، التنافس الدولي.

---

١. أستاذ تاريخ مساعد في المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة/ جامعة جندوبة (تونس).

المقدّمة

نشأ الاستعمار بوصفه حاجةً أساسيّةً للرأسماليّة، فبدون الاستعمار لا يمكن توفّر المواد الأوليّة والثروات الطبيعيّة، ولا يمكن الحصول على أسواقٍ لتصريف المنتوجات المُصنّعة في الميتروبول[1]. إذًا فهي حيازةٌ غير شرعيّة؛ ولهذا يُنتج الاستعمار وسائل ترسيخه وتركيزه ونجاحه، منها الوسائل العسكريّة أو الإيديولوجيّة أو العلاقات الدوليّة إلخ. سوف نسعى خلال هذا البحث إلى دراسة نموذجٍ تفسيريّ مهمٍّ، وهو حالة استعمار إيطاليا لأريتريا أواخر القرن ١٩ عبر دراسة وثائق أصيلةٍ ومهمّةٍ، وهي وثائق الخارجيّة الإيطاليّة في الفترة الممتدّة بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥م، وقد نُشرت هذه الوثائق مُترجمةً في مجلّد كامل (٥١١ وثيقة). وتتخلّل مُجمل المقال إشكاليّةٌ أساسيّةٌ، وهي: ما هي الأساليب والإكراهات التي أسهمت في ترسيخ الاستعمار الإيطالي لأريتريا؟

الاستعمار الإيطالي لأريتريا وأساليبه

أشارت دراساتٌ عديدةٌ للاستعمار الإيطالي لأرتيريا[2]، وتعدّدت البحوث المنتجة حول هذه المسألة في السنوات الأخيرة سواء من الإيطاليّين أم من الأفارقة[3]، متطرقةً لأسباب حدوث الاستعمار، وعلاقة الاستعمار بنشأة القوميّة الأريتيرية. فوجود نظام اقتصادي استعماري (رأسمالي) متطوّر، وتحويل سكّان البلد المستعمَر إلى طبقةٍ عاملة، هو شرطٌ أساسي ضروري لظهور الوعي القومي، إلى جانب علاقة المأساة الجماعيّة في تشكيل هويّةٍ جمعيّةٍ للمعاناة، وبالتالي التضامن[4].

قاد وزير الخارجيّة الإيطالي مانشيني[5] حملة الترويج للسياسة الاستعمارية الإيطالية على طول ساحل البحر الأحمر. وقد صرح بأنّ القانون الدولي لا ينطبق على الأراضي التي تسكنها القبائل المتوحّشة وتستعمرها الأمم المتحضّرة، وأنّ المستعمرات هي الوجهة المفضّلة للتدفّق المتزايد من المهاجرين الإيطاليين، وأنّ الحملات الاستعمارية فرصةٌ لتدريب الجيش الإيطالي الذي كان

1. Metropole

2. Massimo Zaccaria, “Colonial Troops and Italian Colonialism”, Contemporanea Vol. 21, No. 1 (gennaio-marzo 2018), pp. 107-111.

3. Antonio M. Morone, “L’Italie et l’héritage du colonialisme. Entre recherches et débat public”, Raison présente, 2016/3 N° 199, pp.23-33.

4. Yemane Mesghenna, “Italian Colonialism in Eritrea 1882-1941”, Scandinavian Economic History Review, 37/3, pp.75-72.

5. Mancini

سيبقى عاطلاً في الثكنات لولاها[1]. لم تكن هذه السياسة حكرًا على طبيعة علاقة إيطاليا بأريتريا، فلتشغيل المناجم والمزارع وبناء البنية التحتية الرئيسية، استخدم الإداريون الاستعماريون والشركات الاستعمارية قوةً عاملةً كبيرةً، تم توظيفها محليًا بالإكراه أو بالتعاقد من مناطق أخرى، والتي يجب أن يضاف إليها عددٌ كبيرٌ من المهاجرين الأحرار. أخلّت هذه الانتقالات السكانية الضخمة بالتوازنات العرقية والثقافية، وزادت من حدة التوترات ولعبت دورًا حاسمًا في ظهور الهويات السياسية. مثلاً في عام ١٩٠٥م، كان الاتّحاد البريطاني لملايو يقطنه ٤٥٪ من الصينيين، و١٥٪ من التاميل، وكان الملايو أقليةً في السلطنات. وفي عام ١٩٢٣م، كان هناك ٢٣,٠٠٠ آسيوي مقابل ٩,٧٠٠ مستوطن في شرق إفريقيا البريطانية. أدخل حكّام الأقاليم، الذين كانوا خائفين ممّا يسمّى (الخطر الأصفر)، سياسات تمييزية وقيدوا وصول المهاجرين غير الغربيين من خلال نظام الحصص. وبين ثلاثينيّات القرن التاسع عشر والحرب العالمية الثانية، عاد ٢٥ مليون مهاجر هندي من أصل ٣٠ مليون مهاجر هندي في نهاية المطاف إلى شبه القارة الهندية[2].

أنتج الاستعمار الإيطالي في أرتيريا بُنى سياسيةً وقانونيةً واقتصاديةً لدعم النظام الاستعماري، فقد تم ترسيخ نظامٍ قضائي ومؤسّسي بديلٍ للرعايا الخاضعين للاستعمار، والذي يوصف بأنّه جانبٌ رئيسٌ من جوانب تطوّر وتوطيد القوى الاستعمارية، وعامل حاسم في تشكيل الهويات الجديدة، إلى جانب المراهنة على نخبةٍ محليّةٍ موالية تمامًا، والسعي إلى إنتاج هويّة، ولو متخيّلة[3].

اعتمد الاستعمار الإيطالي على أساليب واستراتيجيّات عديدة لإنجاح استعماره لإريتريا. سبق الاحتلال الإيطالي حركة استكشافٍ واسعةٍ وشاملة لأريتريا، وقد حاربت الدولة العثمانيّة ذلك عبر دعمها للمقاومة المحليّة. كما سعت إيطاليا إلى التغلغل تجاريًا. شرعت إيطاليا في بناء مراكز تجاريّة، ونقاط تبادلٍ للسلع من ناحية لمركز جذب لثروات المناطق المحيطة بها، وتحويلها إلى نقاط عسكريّة من ناحيةٍ أخرى إن اقتضت الضرورة، والأهمّ لكي تكون هذه النقاط نقطة انطلاق البعثات الاستكشافيّة للمناطق المجهولة. ولكيّ تحمي إيطاليا مصالحها الاقتصاديّة

1. Tullio Scovazzi, “The Italian Approach to Colonialism: The First Experiences in Eritrea and Somalia”, in: A History of International Law in Italy, Giulio Bartolini (ed.), Oxford University Press, 2020, pp.334-358.

2. Jean-François Klein, Pierre Singaravélou et Marie-Albane de Suremain, “Travailler en situation coloniale : les migrations de travail”, in: Atlas des empires coloniaux XIXe - XXe siècles, Par Jean-François Klein, Pierre Singartvélou, Marie-Albane de Suremain, Cartographie Fabrice Le Goff Atlas,Autrement, Paris, 2018, pp.60-61.

3. Uoldelul Chelati Dirar, “Colonialism and the Construction of National Identities: The Case of Eritrea”, Journal of Eastern African Studies, Volume 1, 2007 - Issue 2, pp.256-276.

سعت إلى تأسيس بنيةٍ تحتيّةٍ مساعدةٍ لها، مثل تمهيد الطرقات والمسالك وبناء الجسور. كما سعت إيطاليا إلى كسبِ ولاءِ القبائل المحيطة بنقاطها التجاريّة. حرصت إيطاليا على إحصاء أهمّ الثروات المنتجة في القرن الإفريقي وخاصة في منطقة أرياريا، والسعي إلى استيرادها وأهمّها القهوة والمطّاط والجنود، ويتمّ تبادلها مع السلع الإيطاليّة المُصنّعة[١]. في المرحلة التالية، تُرسل كلّ الخرائط والوثائق والتقارير والمذكّرات إلى المؤسّسة الجغرافيّة الإيطاليّة[٢]، ثمّ يتمّ التنسيق بين وزارة الخارجيّة ووزارة الأشغال العامّة لشقّ الطرق وتهيئة الموانئ[٣]. ثمّ يتمّ التواصل مع الغرف التجاريّة في إيطاليا وأهمّها (في تورينو وجنوه وميلانو والبندقيّة ونابولي)، لإنتاج السلع وتجهيزها قبل إرسالها للحبشة[٤].

وفي هذه المرحلة بالذّات تُرسم السياسات والخُطط التي سوف تُوجّه للسياسيّين. بيّن جيفري ستون العلاقة العضويّة بين الجغرافية وجمعيّاتها وإنجاح مؤسسة الاستعمار، فلا يمكن للاستعمار أن ينجح بدون معرفة البلاد والعباد، سواء جغرافيا طبيعيّة أم بشريّة[٥]. وتشرع الحكومة في تنزيل استثماراتها، وتشجيع الاستثمار الخاصّ الذي يشرف عليه رجال الأعمال الإيطاليين؛ ولهذا طالبوا بأن تسلّم لهم الحكومة كلّ المعلومات التي تمكّنهم من إنجاح مشاريعهم وهي أساسًا: «مواعيد وصول القوافل، كميّات البضائع التي تحملها القوافل وأنواعها، البضائع الإيطاليّة التي يمكن توريدها»[٦]، إلى جانب المعلومات البشريّة والأمنيّة والمناخيّة وغيرها.

بذلت إيطاليا جهدًا لربط نقاطها التجاريّة مع الموانئ البحريّة، كما لم تتردّد الحكومة الإيطاليّة في شراء (ميناء عصب) على البحر الأحمر، ثم إعادة تجهيزه (١٨٨٣)، كما تحرّكت سياسيّا فقد أرسل ملك إيطاليا رسالةً إلى ملك الحبشة (٢٥ يناير ١٨٨٣م)، وطلب منه حماية الجالية الإيطالية ببلده، ولم يغفل ملك إيطاليا توظيف إيديولوجيا التفوّق الغربي، أي عبأ الرجل الأبيض، حيث برّر رغبته في مساعدة الحبشة لخدمة (المدنيّة والتقدّم)، كما هو لدى (الدول المتحضّرة). وقام أيضًا

١. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٣٣.

٢. المصدر نفسه، ص٥٤.

٣. المصدر نفسه، ص٧٢.

٤. المصدر نفسه.

5. Jeffrey C. Stone, "Imperialism, Colonialism and Cartography", Transactions of the Institute of British Geographers Vol. 13, No. 1 (1988), pp. 57-64.

٦. وزارة الخارجية الإيطالي، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص١٠٠.

ملك إيطاليا بإرسال هدايا من منتجات إيطاليا لصناعيّة إلى ملك الحبشة[١]. وقد خصّصت الحكومة الإيطاليّة مبالغ ماليّةً طائلةً لمسألة الهدايا، فقد تمّ توزيع ١٦ ألف ليرة على رؤساء القبال أوّل سنة ١٨٨٣م[٢].

تابعت وزارة الخارجيّة الإيطاليّة عمل مبعوثيها إلى قبائل الحبشة، وعيّنت نوّابًا لها في القرى، وعقدت تفاهمات مع رؤساء القبائل، وقد لعب هؤلاء الرؤساء دورًا حيويًّا في تموقع إيطاليا تجاريّا، فقد تكفّلوا بحماية التجّار الإيطاليّين، وقد عبّر ذلك مبعوث وزارة الخارجيّة الإيطاليّة بقوله «تبنّاني لدى القبيلة...وذلك في حفل أُقيم، وتمّ فيه تبادل الدم»[٣]. تقدّم لنا هذه الوثيقة معلوماتٍ في غاية من الأهميّة، فكاتبها استخدم عبارةً موحيةً وذات رمزيّة، وهي (التبنّي)، فإيطاليا تسعى أساسًا إلى ضمان ولاء المجتمع المحلّي، وعدم تمرّده عليها في ظلّ وجود منافسين محليين ودوليّين، وأهمّهم فرنسا والدولة العثمانيّة. ويحملنا هذا الأمر إلى الاستنتاج الثاني، وهو إقدام ممثّل وزارة الخارجية الإيطالي على اتّباع العرف الاجتماعي وخضوعه له واتّباعه طقوس المجتمع المحلّي، وبقي الأمر محصورًا في طقس الدّم.

بيّن المؤرّخون الأنثروبولوجيّون أهميّة تيمة الدم في ربط العلاقات الاجتماعيّة وترسيخها والمحافظة عليها، فهو يشير إلى القرابة والوفاء والتضحية والولاء والترابط العضوي والوجودي[٤]، وخاصّة تحقيق مفهوم (الاندماج)، أو (الاستيعاب)[٥]. وهذا ما سعى الممثّل التجاري للحكومة الإيطاليّة لتحقيقه، تبادل الدم، أي تبادل العهود والمواثيق والوفاء، والهدف هو ضمان المصالح التجاريّة لإيطاليا، وعدم الاعتداء على ممثّلها ورعاياها، وحماية تموقّعها من المنافسة الدوليّة. والحلّ هو ضمان ولاء المجتمع المحلّي.

---

١. المصدر نفسه، ٢٥ يناير ١٨٨٣، ص٣٤-٣٥.

٢. المصدر نفسه، ٢٧ يناير ١٨٨٣، ص٣٧.

٣. المصدر نفسه، ٢٧ يناير ١٨٨٣، ص٣٦.

4. Jean-Sébastien Eideliman, “Les anthropologues et l’idéologie du sang Comment définir la famille ?”, Informations sociales 2007/3 n° 139, pp.66-77.

5. Ferdinand Sutterlüty, “La parenté ethnique et les liens du sang. Une dimension symbolique fondamentale de l’inégalité sociale en Allemagne”, in: Les enjeux du don de sang dans le monde Entre altruisme et solidarités, universalisme et gestion des risques, Sous la direction de Johanne Charbonneau et Nathalie Tran, Presses de l’EHESP, 2012, pp.307-330.

قلنا إنّ إيطاليا راهنت على الموانئ المهمّة، والنقاط التجاريّة في المتخلّلة للقبائل الموالية والرابطة بينها، ودعّمت ذلك بالسعي إلى حيازة عددٍ كبيرٍ من الجِمال (شراء واستئجارًا)، وإقامة مواقع اتّصال على سفوح الجبال مع توظيف رجال القبائل لحراستها، مثل حالة «محطّة مُقامة على سفوح جبل موسى علي وتبعد عن قرية مارغابلة مسيرة ثلاثة أيّام ويتولّى حراسته ستّة عشر رجلاً حبشيّا»[١]. تعتمد استراتيجية الاستعمار على ثلاثة ركائز أساسيّة، وهي: مصدر للمواد الأوليّة، وبلد التصنيع، وأسواق لتصريف المنتجات المُصنّعة. وقد نشأ الاستعمار لتحقيق توفّر المواد الأوليّة والأسواق. ولم تخفِ وزارة الخارجية الإيطالية في رسائلها هذه الهواجس، فقد بيّنت رسالة وزيرها أنّ إيطاليا لا تبتغي إلّا السلام وفتح الطريق التجارية مع السماح للمجتمع المحلي بالاطلاع على المنتجات الإيطالية، ومقايضتها بالتالي مع منتجات بلدكم[٢].

كما سعت إيطاليا لإنتاج صورٍ نمطيّةٍ تحقيريّةٍ ووصومٍ اجتماعيّةٍ سيّئةٍ تجاه إفريقيا عمومًا، والقرن الإفريقي خصوصًا، والهدف هو أوّلًا شرعنة الاستعمار عبر تبيان أحقيّة إيطاليا بهذه المستعمَرات، وثانيًا تهدئة للرأي العام الدّاخلي في صورة رفضه لهذا المشروع الاستعماري. كان الاستيطان الاستعماري، الذي يُفهم على أنّه هجرة الإيطاليين إلى المستعمَرات، عنصرًا أساسيًا في تاريخ الاستعمار الإيطالي، سواء للتخطيط السياسي أم للعمليات الاجتماعية والثقافية التي أطلقها المستوطنون من الوطن الأم في أفريقيا. لم تكن هذه عمليّة خطيّة. ففي نهاية القرن التاسع عشر، أُحبطت نية تأسيس الاستعمار على شبكات ومجتمعات هجرةٍ قائمةٍ مسبقًا في البحر الأبيض المتوسّط، بسبب تحوّل الجهود التوسعية الإيطالية إلى القرن الأفريقي. كانت ظروف المعيشة والعمل السيئة للعديد من المستوطنين الجدد هي التي أجبرت إيطاليا على إعادة أولئك الذين واجهوا خطر الغرق في المستنقع الاستعماري، أي الوقوع في مستوى الرعايا المستعمرين، إلى إيطاليا. وقد اعتمدت إيطاليا في جزءٍ كبيرٍ من جهودها لاستعادة مستعمراتها على عمل مستوطنيها في أفريقيا. أسهم المستوطنون في فرض النظام الاستعماري على أساس التفوّق العرقي والاجتماعي المزعوم للإيطاليين على رعاياهم الأفارقة[٣].

١. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٣٦.

٢. المصدر نفسه، ص٥٦.

3. Antonio M. Morone, “Italian Settlers in the Horn of Africa”, Encyclopedia of African History, Oxford University Press, February 2024.

راهنت إيطاليا على إجراءاتٍ اقتصاديّةٍ عديدةٍ في إريتريا منها التنسيق مع السكّان المحليين لمعرفة الطرقات السّالكة خاصةً في موسم الأمطار، وتوفير أماكن لتلقّي البريد والعمل على سرعة وأمن استقباله وإرساله، وتوفير السلامة الجسديّة والنفسيّة للوكلاء التجاريّين الإيطاليين، وإعفاء بضائعها وتجّارها من الضرائب والرسوم، وخاصّة الحصول على مصادر الأخبار الموثوقة والمعلومات عن كلّ كبيرةٍ وصغيرةٍ عن المجتمع المحلي، أي الاستعلام والتخابر، ومصدر المعلومات الأساسيّ هو الأسواق؛ لأنّها مكان تجمّع كلّ القبائل[١]. ومقابل ذلك طالبت القبائل بتحالف مع إيطاليا لمنع أيّ نفوذٍ مصري في أقاليمها[٢].

أسهمت إيطاليا في تقسيم ما سوف يسمّى بأريتريا إلى ثلاثة أقاليم، وهي الأقاليم الداخليّة، والمنطقة الوسطى، والمنطقة الساحليّة، لكلّ منطقةٍ سلطانها، وتمكّنت إيطاليا من إقناعهم جميعًا بالتحالف معها. كانت قوافل السلع تخرج من المنطقة الداخليّة، وتُرسل لإيطاليا عبر موانئ المنطقة الساحليّة، ومثّلت المنطقة الوسطى حلقة وصلٍ ومراقبةٍ حيويّة. كما يُسمح للسفن الحربيّة الإيطاليّة، إلى جانب التجاريّة، باستخدام هذه الموانئ[٣]. في هذا السياق، بيّنت دراسات تاريخ الاستعمار تشابك الدبلوماسيّة مع التجارة مع التهديد والضغط العسكري[٤].

سعت إيطاليا إلى إنتاج نخبةٍ محلّيةٍ مواليةٍ مثل حالة التاجر محمد الويتو، وهو رجل (جيّد ومُخلص)، والأهمّ فهو يبغض المصريّين ويحبّ الأوروبيين؛ لأنّه يجد في كلّ أوروبي منقذًا لبلده من أعدائه، ويكره خاصة المصريّين، ويمقت عائلات المجتمع المحلّي المتحالفة معهم[٥]. تُعدّ شخصيّة هذا التاجر نموذجيّةً لدى إيطاليا، فهو فاعلٌ مؤثّرٌ في مجتمعه المحلّي ماديّا ومعنويّا، ورغم أنّه مسلمٌ لكنّه لم يوالِ مصرَ، ولا يخفي ولعه بأوروبا. تاريخيّا، راهنت مؤسسة الاستعمار على إنتاج نخبٍ محليّةٍ مواليةٍ، سواء سياسيّة أم اقتصاديّة أم ثقافيّة (معرفيّة ودينيّة)[٦].

---

١. وزارة الخارجية الإيطالي، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٤٢-٥٠.

٢. المصدر نفسه، ص٤٣.

٣. المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.

4. R. W. Beachey, "The Arms Trade in East Africa in the Late Nineteenth Century", The Journal of African History Vol. 3, No. 3 (1962), pp. 451-467.

٥. وزارة الخارجية الإيطالي، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٥١.

6. Harold Tollefson, Policing Islam: The British Occupation of Egypt and the Anglo-Egyptian Struggle Over Control of the Police, 1882–1914, Greenwood Press, 1999.

اعتمدت إيطاليا على أسلوبٍ آخر لترسيخ وجودها في القرن الإفريقي حيث شرعت في تطبيق حملةٍ إعلانيّةٍ في إيطاليا لإقناع الإيطاليّين للهجرة إلى مناطق نفوذها في أثيوبيا. لا يمكن للاستعمار أن ينجح بدون زخمٍ ديمغرافي خاصّة في ظلّ تنافسٍ دولي رهيبٍ على حيازة المستعمرات، فقط كانت المبرّرات السكانيّة وكثافتها أساسيّةً لشرعنة حيازة المستعمرات. كانت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مرحلة العولمة عندما تم وضع ضوابط للهجرة، لم تكن السيطرة على العمالة المهاجرة في ذلك الوقت أيضًا من اختصاص الحكومات وحدها؛ فقد سعى أصحاب العمل، ووكلاء التوظيف، وسماسرة العمالة في البلدان المرسلة والمستقبلة، والمحامون، والمحاكم، ومعاهد التدريب، والمقرضون ووكالات الائتمان الأخرى، والمهربون ومجموعة واسعة من الوسطاء إلى تحقيق مكاسب من تدفّق العمّال عبر الحدود الوطنية. إذا كانت المرحلة السابقة من العولمة التي تميزت بالرأسمالية الصناعية قد استدعت إمداداتٍ هائلةً من العمالة التي تشكّل العمود الفقري للعولمة، ولإنجاح مؤسسة الاستعمار؛ ولهذا لم يكن الرهان حكرًا على الدولة فقط، بل هاجسًا اجتماعيًّا ذا خلفيّاتٍ اقتصاديّة[1].

مشروع الاستعمار الإيطالي لأريتريا واكراهاته المحلية والدوليّة

كانت المبعوث الإيطالي حذرا من الخداع والمؤامرات وتقديم المعلومات الخاطئة من قبل المجتمع المحلّي وخاصة رؤساء القبائل، وهذا ما جعل إيطاليا تعتمد أسلوبًا ذكيًّا هنا، وهو إبرام تحالفات مع مُجمل رؤساء القبائل[2]. تعتمد مؤسسة الاستعمار هنا على نظريّة أنثروبولوجيّة ستسمّى خلال أوّل القرن العشرين بالنظريّة الانقساميّة، وتعني بأنّ المجتمعات البدائيّة تتخلّلها انقساماتٌ، ويعتمد نظامها الاجتماعي على ذلك. أي يمثّل الانقسام بُنيةً لا ظرفًا أو حالةً طارئة[3]؛ ولهذا نظر الاستعمار للمجتمعات المُستَعمَرة كأجزاءٍ منفصلةٍ عن بعضها بعضًا، لا كتلةً حضاريّةً ومجتمعيّةً واحدة، وهذا ما ساعده على تبنّي استراتيجيّات التقسيم أو التفكيك أو ضرب المجتمع الواحد بعضه ببعض، وتحالفه مع الجميع في الآن ذاته مع إخفاءه لذلك.

وتتأكّد هذه الفرضيّات من خلال الاطّلاع على تقرير وزير الخارجيّة الإيطالي الموجّه إلى

1. Ranabir Samaddar, "Returning to the Histories of the Late 19th and Early 20th Century Immigration", Economic and Political Weekly Vol. 50, No. 2 (JANUARY 10, 2015), pp. 49-55.

٢. المصدر نفسه، ص٣٧.

٣. عبد الله حمودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية: خطوة في طريق تأسيس خطاب أنثربولوجي مستقل، ص١١-٥٦.

وزير الزراعة الإيطالي، فقد أخبره أوّلًا أنّ على إيطاليا أن تُعلم النجاشيّ بأنّ كلّ منطقة تسيطر عليها إيطاليا فيما يُسمّى اليوم أريتيريا هي منفعة للحبشة نفسها حيث يتمكّن النجاشي من مدّ نفوذه إليها مع ضمان إيطاليا السماح له بذلك. وثانيًا أوصى الوزير بالإبقاء «على الأوضاع السياسيّة الراهنة في هذه البلدان دون تغيير»[١]؛ لأنّ إيطاليا مستفيدةٌ من الحالة الانقساميّة، وتوزّع النفوذ بين عشرات القبائل مع عدم السماح لتركّزه في سلطةٍ مركزيّةٍ واحدةٍ خوفًا من المقاومة، وهذا ما يُترجم المبدأ البريطاني المعروف: (فرّقْ تَسُدْ)[٢]؛ ولهذا استغلّت إيطاليا الحروب بين القبائل لكي تُنفذ سياساتها، فقد اشترط عليها الشيخ عبد الرحمان أحد أهمّ المتنفّذين في الحبشة بأن تُرجع له إيطاليا زوجته المحتجزة لدى قبيلةٍ منافسةٍ، وتفكّ أسرها، وتعوّض بيع عبدٍ له، وخسائره من احتجاز مراكب صيد له، وتهديم منزله على أيدي تلك القبيلة نفسها، مع أن تلتزم الحكومة الإيطالية بحمايته من أيّ اعتداءٍ قبليّ مستقبلاً، والمحافظة على أرضه من أيّ مصادرةٍ أو انتزاعٍ محليّ. كما بيّن الشيخ عبد الرحمان الدور المهمّ الذي تلعبه مصر لبثّ الفوضى بين القبائل؛ ولهذا اشترط أيضًا على إيطاليا أن تحمي الطرق التجاريّة التي تحت سيطرته[٣].

يتبيّن لنا من خلال هذه النازلة أنّ إيطاليا لم تستفد من سياسة (فرقّ تَسُدْ) الكلاسيكيّة، بالإسهام في نشوب صراعاتٍ بين الفاعلين الاجتماعيين المحليّين، بل انتهزت فرصة النزاعات القبليّة الموجودة سلفًا، والانقسام القبلي بين أصحاب النفوذ المحليين والقوى الخارجيّة (مثل مصر). وهذا الذي جعل إيطاليا توظّف مبدأ التهدئة الاجتماعيّة من ناحية، والتوسّط لفضّ النزاعات من ناحيةٍ أخرى، والأهمّ الاصطفاف إلى جانب حلفاء محليين مستقبليين، وحمياتها لهم تضمن ولاءهم مستقبلاً.

لم تهمل إيطاليا الجانب الثقافي، فقد وجد مبعوثها التجاري صعوباتٍ كبيرةً في إيجاد مترجم، و«الترجمان الوحيد... رفض المجيء معي بأقلّ من راتبٍ شهري قدره عشر جنيهاتٍ استرلينيّة»[٤]. لاقت مُجمل الدول الاستعمارية خلال القرن ١٩ عواقبَ جمّةً على مستوى الترجمة، فلا يمكن عقد معاهداتٍ سياسيّةٍ أو اقتصاديّةٍ بدون فهم لغات المحليّة أو استيعاب المجتمعات

١. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٣٩.

2. A. J. Christopher, "Divide and Rule': The Impress of British Separation Policies", Area Vol. 20, No. 3 (Sep., 1988), pp. 233-240.

٣. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص١٠٢.

٤. المصدر نفسه، ص٤٠.

المحليّة، فهم التاجر، وفيما بعد المستعمر الأوروبي[١]. كما عانت إيطاليا من صعوباتٍ أخرى منها عصيان المجتمع المحلّي ورفضه للوجود الأوروبي، فقد تعرّضت الطرق التجاريّة للقطع والهجوم والإغلاق، كما عانى الوجود الإيطالي من كثرة الحروب سواء ضدّه أم بين القبائل[٢]. أنتج السكّان المحليّون خلال فترات الاستعمار الأوروبي لإفريقيا استراتيجيّاتٍ عديدةً للمقاومة، وأهمّها اتّخاذ موقف المسافة (العزلة) والرفض والتكيّف وخاصّة المرونة، وهذا ما يبيّن بأنّ الدولة الاستعمارية لم تكن إدارةً جبارة، وإنّما كانت، قبل كلّ شيء، قائمةً على تكيفاتٍ دائمةٍ وقراراتٍ تجريبيةٍ، وفهم لتوازنات القوّة الاجتماعيّة[٣].

كما لاقت إيطاليا صعوباتٍ أخرى جمّة جرّاء المنافسة الخارجيّة، فقد تمكّنت فرنسا مثلاً من استقطاب أبناء أحد زعماء القبائل المؤثّرين حيث وضعوا أنفسهم تحت تصرّف التجار الفرنسيين، وكان ذلك على حساب التجار الإيطاليين حيث رفضوا مقابلتهم[٤]، وهذا ما وقع مثلاً مع أحد أهمّ شيوخ الحبشة، ويسمّى بعبد الرحمان بن يوسف، فقد استغلّت فرنسا غياب المبعوث الإيطالي، وحاولت استمالته إليها، وإقناعه بالتوقيع على اتفاقيّة يتعهّد بموجبها بتقديم خدماته «إلى الحكومة الفرنسيّة فقط دون غيرها»[٥].

مثّل القرن الإفريقي مكمن أطماعٍ كبيرة للقوى الاستعماريّة الأوروبيّة، حيث لم يكن حكرًا على قوّةٍ واحدة، فقد كان سمةً أساسيّةً لتوسّع أوروبا عبر البحار، ونموذجًا مبيّنًا لأشكال اللقاءات المتعددة بين الملاحين والمستكشفين والفاتحين والمستعمرين والتجار والمبشرين الأوروبيين وشعوب وثقافات على مدى سنوات وقرون. لطالما اتّسمت هذه اللقاءات بطابعٍ مزدوج. فعلى المستوى المباشر والعملي، أدى الغزو والاستعمار والتجارة إلى أنماطٍ من الهيمنة أو التعايش، وعلاقاتٍ متعدّدة الجوانب عبر الثقافات. في أوروبا، أدّت هذه اللقاءات مع الآخر إلى محاولاتٍ لتفسير أصول وطبيعة التنوعّ العرقي والثقافي (اللغوي والديني والاجتماعي). في الوقت نفسه،

1. Philip D. Curtin, "The Black Experience of Colonialism and Imperialism", Daedalus, Vol. 103, No. 2, Slavery, Colonialism, and Racism (Spring, 1974), pp. 17-29.

٢. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٨٠-٨٣.

3. Romain Tiquet, "Challenging Colonial Forced Labor? Resistance, Resilience, and Power in Senegal (1920s–1940s)", International Labor and Working-Class History No. 93, WORKERS AND RIGHT-WING POLITICS (Spring 2018), pp. 135-150.

٤. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٨٦.

٥. المصدر نفسه، ص٩٧.

وسّعت مراقبة المجتمعات والثقافات والممارسات الدينية الغريبة النقاش حول الأشكال الاجتماعية البشرية، ممّا أدّى إلى إعادة تقييم نقديةٍ للحضارة المسيحية الأوروبية[١]. إذًا لم يكن القرن الإفريقي رهانًا اقتصاديًا فقط، بل حمل أبعادًا استراتيجيّة ومعرفيّة وانثروبولوجيّة؛ ولهذا سعت إيطاليا لضمان حيازتها لأريتريا إلى اللعب على حبل التوازنات الدوليّة؛ فلكي تدفع أطماع فرنسا ومصر سعت إلى كسب ودّ إنجلترا، وضمان عدم معارضتها لمشاريعها في الحبشة، بالمقابل عرضت إيطاليا خدماتها على إنجلترا من أجل مساعدتها في حربها في أفغانستان والسودان[٢].

مارست إيطاليا الدبلوماسيّة الخطابيّة مع رؤساء القبائل والمتنفّذين في المجتمع المحلّي، فلم تتردّد في استخدام عبارات الاحترام والتوقير والإكبار في رسائلها الرسميّة. كتب وزير الخارجيّة الإيطالي في رسالته إلى سلطان أوسا محمد بن حنفري: «إلى الذي يسطع نوره من خلال السلاطين الأقوياء، إلى البطل المغوار، إلى الأسد الجبّار، إلى الذي يلوّح بلواء الإسلام، إلى الجريء بين الجميع، إلى من يسوس السيف والقلم، السلطان بن السلطان»[٣]. يتبيّن لنا توظيف الخارجيّة الإيطاليّة لعباراتٍ ذكيّةٍ ترمي إلى ترسيخ المكانة الاجتماعيّة للمرسل إليه ضمن سياقه المحلّي، مع إقرار إيطاليا واعترافها بهذه المكانة. تتقاطع هذه الممارسات الخطابيّة مع تقنياتٍ استعماريّةٍ متنوّعةٍ مكانيًا وزمانيًا، حيث مثّلت اللغة وإنتاجها وسيلةً لتشكيل مضامين التفكير والتمثّلات وتشكيل الذاكرة، وبل وحيازتها[٤]، أو ما سُمّي (بلاغة الامبراطوريّة)[٥]. وبالتوازي مع هذه الممارسات الخطابيّة التفضيليّة والتبجيليّة تجاه زعيم المجتمع، أنتج الخطاب الرسمي الإيطالي صورًا تحقيريّةً تجاه الأفراد العاديّين من المجتمع المحلّي، فهم يفتقرون إلى النظافة والترتيب والنظام[٦]، كما أنّه من «الواضح أنّ العربيّ يبقى عربيًا»[٧].

1. Guido Abbattista, “European Encounters in the Age of Expansion”, in: European History Online (EGO), published by the Institute of European History (IEG), Mainz 2011-01-24. URL: https://www.ieg-ego.eu/abbattistag-2011-en URN: urn:nbn:de:0159-20101025326 [YYYY-MM-DD].

٢. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص.٢٦٦-٢٦٧.

٣. المصدر نفسه، ١٨٨٣، ص٥٥.

4. Walter D. Mignolo, “On the Colonization of Amerindian Languages and Memories: Renaissance Theories of Writing and the Discontinuity of the Classical Tradition”, Comparative Studies in Society and History Vol. 34, No. 2 (Apr., 1992), pp. 301-330.

5. David Spurr, The Rhetoric of Empire: Colonial Discourse in Journalism, Travel Writing, and Imperial Administration, Duke University Press, 1993, pp.1-12.

٦. وزارة الخارجية الإيطالي، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٥١.

٧. المصدر نفسه، ص٤٧.

يتبيّن لنا أنّ إنتاج الصور النمطيّة تجاه المجتمع المحلّي تزامن لدى العقل السياسي الإيطالي مع تشكيل صورةٍ تفضيليّةٍ تجاه حكّام هذا المجتمع المحلّي نفسه، ويتخلّل ذلك رهاناتٌ كثيرةٌ، وأهمّها أنّ الإيطالي لا يمكن له أن يخفي تمامًا الصورة الاستشراقيّة المُشكّلة في ذهنه قبليًا، وترسّخت على مدى قرونٍ طويلةٍ تجاه المشرق وسكّانه. أيضًا، لا يعني أنّ الرسالة السياسيّة الموجّهة للحاكم والحاملة لصورةٍ إيجابيّةٍ هي قناعةٌ لدى الإيطالي، بل يبقى الخطاب الامبراطوري مجرّد وسيلةٍ سياسيّةٍ لإنفاذ المصالح وتحقيق المكاسب، إلى جانب أنّ وزير الخارجيّة الإيطالي يبتغي إيصال رسالةٍ مهمّةٍ للحاكم المحلّي ذات وجهين: الأوّل هو تفوّقه على مجتمعه، ويؤكّد ذلك أهميّة تحالفه مع إيطاليا حماية لنفوذه ومصالحه، وثانيًا إقناعه بأنّ المنفذ الأساسيّ له تجاه الحداثة هي النافذة الإيطاليّة حصرًا.

وقد جُوبهت الدعاية الإيطاليّة بدعايةٍ مضادّةٍ صادرةٍ من منافسيها الدوليّين (فرنسا، إنجلترا)، أو المنافسين المجاورين للحبشة، وأهمّهم مصر. فقد انتشرت الدعاية للخديوي في كامل مجال سيطرة إيطاليا ساعية لإقناع المسلمين بأنّ «قبول الحماية من بلد يدين بالمسيحيّة سيجعلهم كافرين بالإسلام»[١]. كانت النظرة الإمبريالية للعالم في أواخر القرن التاسع عشر جزءًا لا يتجزأ من الثورة التجارية والصناعية والاجتماعية التي حدثت في بريطانيا بين خمسينيّات القرن التاسع عشر، وعام ١٩١٤م، فخلال تلك المدّة تضاعف عدد السكّان تقريبًا، وأظهر الدخل نموًا مماثلاً في الوقت الذي ظلّت فيه الأسعار ثابتةً نسبيًا، وحقّق المجتمع البريطاني محو الأميّة بشكلٍ شبه شامل. حدثت تغيراتٌ دراماتيكيةٌ في أنماط الاستهلاك في العقدين الأخيرين من القرن حيث فُتحت مصادر جديدةٌ للإمدادات، وأُبتكرت أذواق جديدة، وتم إيجاد وسائل جديدةٍ للحفظ والتعبئة والتسويق. كما كانت هناك أيضًا فرصٌ لا مثيل لها لصناعة الترفيه والتسلية.

وقد وظّفت الدعاية الاستعماريّة استراتيجيّات مختلفة مثل البرامج المدرسيّة، والرحلات السياحيّة، ووسائل الإعلام المتاحة حينها منها الصحافة، وخاصة الإشاعة، وأهمّ أشكالها الإشاعة الدينيّة[٢]. كما راهنت إيطاليا على الحملات التبشيريّة، وهي الجانب الآخر للحرب والسلاح[٣].

---

١. المصدر نفسه، ص٦٢.

2. John M. Mackenzie, Propaganda and empire: the manipulation of British public opinion, 1880–1960, Manchester University Press, 1984, pp.227-251.

3. IngeborgLass-Westphalen, “Protestant Missions During and After the Italo-Ethiopian War, 1935-1937”, Journal of Ethiopian Studies Vol. 10, No. 1 (JANUARY 1972), pp. 89-101.

يصوّر مفهوم إدوارد سعيد للاستشراق ذروة الإمبرياليّة في القرن التاسع عشر على أنّها اللحظة الحاسمة في إرساء هيمنة خطابيةٍ عالمية، اكتسبت فيها المواقف والمفاهيم الأوروبية شرعيّةً عالمية. كانت فكرة الدين محوريةً في المهمة الحضاريّة للإمبريالية، وتشكّلت من خلال مصالح عددٍ من الجهات الاستعماريّة الفاعلة بطريقةٍ لا تزال واضحةً حتى اليوم. فقبل وبعد حقبة الإمبريالية الأوروبية، استخدمت الدول الدين لهندسة الأخلاق الاجتماعية وشرعية الحكم، وصاغ العلماء لاهوت الدولة وفرضوه، وعبّر المبشّرون عن الحاجة إلى التحوّل الديني وطبيعته. في الوقت نفسه، وضع الخطاب التبشيري للتحول الديني هذا الأمر في نطاقٍ شخصي للغاية، ألا وهو الإخلاص والإيمان[١].

حرص الاستعمار على بيع الأسلحة الناريّة إلى المجتمعات المحليّة لاستخلاص جزءٍ من ثرواتهم من ناحية، والإسهام في تشتيت وحدتهم وتضامنهم الاجتماعي من ناحيةٍ أخرى، والأخطر هو تسابق المتنافسين الدوليّين على بيع الأسلحة للفاعلين المحليّين، حيث تسعى كلّ دولة أجنبيّةٍ إلى كسب ولاء فئةٍ محليّة[٢]. وقد وُظّفت مجمل هذه الممارسات بكثرة في القارة الافريقيّة[٣]؛ ولهذا وافق مؤتمر بروكسل لمكافحة الرق في ١٨٨٩-١٨٩٠م، على حظر بيع الأسلحة النارية الحديثة لأجزاءٍ كبيرةٍ من القارة الأفريقية، وهو عهد خدم المصالح الإمبريالية المشتركة في خضم التدافع على أفريقيا. وقد سبق هذا سياقات تاريخيّة مهمّة، وهي الأحداث المحلية في شرق أفريقيا، والحصار البحري الذي تم تنفيذه هنا في ١٨٨٨-١٨٨٩م. وعلى هذه الخلفية صاغت الحكومة الألمانية، التي كانت تتنقل بين المصالح التجارية والأمنية، مخطط الرقابة الدولية الذي اعتمده مؤتمر بروكسل فيما بعد إلى حدٍّ كبير، كما ارتبطت قضية مراقبة الأسلحة بسياسات مكافحة الرق، وبالتالي ربطها بالمهمّة الحضارية الإمبريالية[٤].

1. Thomas David Dubois, “Hegemony, Imperialism, and the Construction of Religion in East and Southeast Asia”, History and Theory Vol. 44, No. 4, Theme Issue 44: Theorizing Empire (Dec., 2005), pp. 113-131.

2. Jonathan A. Grant, Rulers, Guns, and Money: The Global Arms Trade in the Age of Imperialism, Harvard University Press, 2007, pp.65-77.

3. Rory Pilossof, “Review: ‘Guns Don’t Colonise People...’: The Role and Use of Firearms in Pre-Colonial and Colonial Africa”, Reviewed Works: African Military History John LamphearGuns, Race, and Power in Colonial South Africa William K. StoreyThe Maphumulo Uprising: War, Law and Ritual in the Zulu Rebellion Jeff GuyWarfare in the Sokoto Caliphate: Historical and Sociological Perspectives Joseph P. Smaldone, Kronos No. 36 (NOVEMBER 2010), pp. 266-277.

4. Felix Brahm, “Banning the sale of modern firearms in Africa”, Journal of Modern European History / Zeitschrift für moderne europäische Geschichte / Revue d’histoire européenne contempo-

ولم تتخلّف إيطاليا عن هذه الرهانات مع اشتداد أطماعها في القرن الافريقي، حيث تبيّن لنا الوثائق حرصها على بيع أسلحتها للمجتمع المحلّي الموالي لها أساسًا، فقد أقدمت على بيع خمسمائة بندقيّة إلى أحد حلفائها من الزعماء المحليين، رغم رفض الحكومة البريطانيّة ذلك خوفًا من استخدام «هذه الأسلحة ضدّ السكّان المحلّيين»[١]. لكن لم تتردّد الحكومة الإيطالية في تكليف إحدى شركات الأسلحة في مدينة بريشيا Brescia الإيطالية بتصنيع الأسلحة المراد بيعها لأحد الحكّام المحلّيين في أريتريا[٢]. كما استغلّت إيطاليا مسألة بيع الأسلحة لتحقيق مصالحها السياسيّة الدوليّة، فقد وظفت هذه الورقة كوسيلة ضغطٍ على مصر وتركيا لانتزاع اعترافهم بالوجود والنفوذ الإيطالي بالمجال الحبشي، فقد بيّنت إيطاليًا استعدادها لحظر بيع الأسلحة وتنازلها عن ذلك مقابل اعترافهم بسيادتها[٣].

الخاتمة

راهنت إيطاليا على حيازة أطراف من الحبشة، ما سوف يُسمّى فيما بعد بأريتريا، مع إلقاء نظرها بعيدًا نحو كلّ القرن الإفريقي، وقد وظّفت في سبيل ذلك أساليب كثيرة، وأهمّها فرض مؤسسة الاستعمار على المجتمع المحلّي الحبشي. وقد تبيّن لنا من خلال دراسة نموذج استعمار إيطاليا لأريتريا في الفترة الممتدّة بين ١٨٨٣ و١٨٨٥ مرتكزات مهمّة اعتمدت عليها هذه المغامرة، وهي:

- لا يمكن لنا فهم سعي إيطاليا لمدّ نفوذها في القرن الإفريقي بمعزلٍ عن صراعات القارّة الأوروبيّة خاصة، وأنّ إيطاليا توحّدت متأخّرا (١٨٦١م)، وهذا ما حرمها من المستعمرات بالمقارنة مع فرنسا وخاصّة إنجلترا.

- انعكس هذا التنافس الدولي على المستعمرات على الواقع الحبشي، فقد تنافست إيطاليا مع مصر (من ورائها الدولة العثمانيّة)، وفرنسا وبدرجة أقل مع إنجلترا من أجل حيازة النفوذ فيها، وهذا ما أجبر إيطاليا على العمل على الجبهة الداخليّة حيث أقامت تحالفاتٍ مع رؤساء قبائل موالين لها ومعادين لمنافسيها. والعمل على مستوى الجبهة الخارجيّة حيث أقامت علاقات تحالفٍ مع إنجلترا دفعًا للأطماع الفرنسية والمصريّة مقابل تدعيم إيطاليا للمشاريع الاستعمارية الإنجليزية في السودان وأفغانستان.

raine Vol. 19, No. 4 (November 2021), pp. 436-447.

١. وزارة الخارجية الإيطالية، وثائق الخارجيّة الإيطالية حول احتلال أريتريا، ص٦٦.

٢. المصدر نفسه، ص٦٧.

٣. المصدر نفسه، ص٦٩.

- وظّفت إيطاليا أساليب مهمّةً لترسيخ نفوذها في أجزاءٍ من الحبشة، عبر عقد تحالفاتٍ مع رؤساء قبائل مؤثّرين، أو عبر التهديد العسكري (السفن الحربيّة)، أو من خلال تدعيم الانقسام القبلي، أو استغلال التنافس القبلي، والاصطفاف مع أحد الطرفين. واستثمرت إيطاليا هنا موروثًا أنثروبولوجيّا مهمًّا ترسّخ من خلال الرحلات العلمية، أو الاستكشافيّة الاستشراقيّة (النظرية الانقساميّة)، أو التطوّر التقني لديها (بيع الأسلحة للمجتمع المحلّي وللمتصارعين مثلاً). وهذا ما تسبّب في نتائج كثيرةٍ، منها كثرة إنتاج الصور النمطيّة، والوصوم الاجتماعية التحقيريّة تجاه المجتمع المحلّي، إلى جانب توظيف الدّين وسيلةً للشرعنة والإقناع (التبشير).

- راهنت إيطاليا على حيازة الأرباح الاقتصاديّة، ولهذا سعت إلى مدّ الطرقات، وفتح المسالك التجاريّة، وبناء أو ترميم الموانئ، وتركيز نقط تجاريّة مهمّة واستراتيجيّة، ولا يمكن أن ينجح ذلك من دون تحالفاتٍ مع المجتمع المحلّي، وقد وظّفت من أجل ذلك أساليب كثيرةً مثل الهدايا أو المنح الماليّة أو تدعيم النفوذ السياسيّ.

المصادر والمراجع

المصادر العربيّة:

١. وثائق الخارجيّة الإيطاليّة حول احتلال أريتريا، إشـــراف: كارلو جوليو، ترجمة: البعثة الخارجيّة لجبهة التحرير الأريتريّة. قوّات التحرير الشعبيّة، دمشق، ١٩٧٨، المجلّد الثاني: ١٨٨٣-١٨٨٥.

٢. عبد الله حمـــودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية: خطوة في طريق تأســيس خطاب أنثربولوجي مستقل، مجلة عمران، العدد ١٩، ٢٠١٧.

المصادر الإنجليزيّة:

3.A. J. Christopher, "'Divide and Rule': The Impress of British Separation Policies", Area Vol. 20, No. 3(Sep., 1988), pp. 233-240.

4.Antonio M. Morone, "Italian Settlers in the Horn of Africa", Encyclopedia of African History, Oxford University Press, February 2024.

5.Antonio M. Morone, «'Italie et l'héritage du colonialisme. Entre recherches et débat public », Raison présente, 2016/3 N° 199, pp.23-33.

6.David Spurr, The Rhetoric of Empire: Colonial Discourse in Journalism, Travel Writing, and Imperial Administration, Duke University Press, 1993, pp.1-12.

7.Felix Brahm, "Banning the sale of modern firearms in Africa", Journal of Modern European History / Zeitschrift für moderne europäische Geschichte / Revue d'histoire européenne contemporaine Vol. 19, No. 4(November 2021), pp. 436-447.

8.Ferdinand Sutterlüty, «La parenté ethnique et les liens du sang. Une dimension symbolique fondamentale de l'inégalité sociale en Allemagne », in: Les enjeux du don de sang dans le monde Entre altruisme et solidarités, universalisme et gestion des risques, Sous la direction de Johanne Charbonneau et Nathalie Tran, Presses de l'EHESP, 2012, pp.307-330.

9.Guido Abbattista, "European Encounters in the Age of Expansion", in: European History Online(EGO), published by the Institute of European History(IEG), Mainz 2011-01-24. URL: https://www.ieg-ego.eu/abbattistag-2011-en URN: urn:nbn:de:0159-20101025326 [YYYY-MM-DD].

10. Harold Tollefson, Policing Islam: The British Occupation of Egypt and the Anglo-Egyptian Struggle Over Control of the Police, 1882–1914, Greenwood Press, 1999.

11. IngeborgLass-Westphalen, “Protestant Missions During and After the Italo-Ethiopian War, 1935-1937”, Journal of Ethiopian Studies Vol. 10, No. 1(JANUARY 1972), pp. 89-101.

12. Jean-François Klein, Pierre Singaravélou et Marie-Albane de Suremain, « Travailler en situation coloniale : les migrations de travail », in: Atlas des empires coloniaux XIXe - XXe siècles, Par Jean-François Klein, Pierre Singartvélou, Marie-Albane de Suremain, Cartographie Fabrice Le Goff Atlas,Autrement, Paris, 2018, pp.60-61.

13. Jean-Sébastien Eideliman, « Les anthropologues et l’idéologie du sang Comment définir la famille ? », Informations sociales 2007/3 n° 139, pp.66-77.

14. Jeffrey C. Stone, “Imperialism, Colonialism and Cartography”, Transactions of the Institute of British Geographers Vol. 13, No. 1 (1988), pp. 57-64.

15. John M. Mackenzie, Propaganda and empire: the manipulation of British public opinion, 1880–1960, Manchester University Press, 1984, pp.227-251.

16. Jonathan A. Grant, Rulers, Guns, and Money: The Global Arms Trade in the Age of Imperialism, Harvard University Press, 2007, pp.65-77.

17. Massimo Zaccaria, “Colonial Troops and Italian Colonialism”, Contemporanea Vol. 21, No. 1(gennaio-marzo 2018), pp. 107-111.

18. Philip D. Curtin, “The Black Experience of Colonialism and Imperialism”, Daedalus, Vol. 103, No. 2, Slavery, Colonialism, and Racism)Spring, 1974), pp. 17-29.

19. R. W. Beachey, “The Arms Trade in East Africa in the Late Nineteenth Century”, The Journal of African History Vol. 3, No. 3 (1962), pp. 451-467.

20. Ranabir Samaddar, “Returning to the Histories of the Late 19th and Early 20th Century Immigration”, Economic and Political Weekly Vol. 50, No. 2(JANUARY 10, 2015), pp. 49-55.

21. Romain Tiquet, “Challenging Colonial Forced Labor? Resistance, Resilience, and Power in Senegal (1920s–1940s)”, International Labor and Working-Class History No. 93, WORKERS AND RIGHT-WING POLITICS(Spring 2018), pp. 135-150.

22. Rory Pilossof, «Review: ‘Guns Don’t Colonise People...’: The Role and Use of Firearms in Pre-Colonial and Colonial Africa», Reviewed Works: African Military History John LamphearGuns, Race, and Power in Colonial South Africa William K. StoreyThe Maphumulo Uprising: War, Law and Ritual in the Zulu Rebellion Jeff GuyWarfare in the Sokoto Caliphate: Historical and Sociological Perspectives Joseph P. Smaldone, Kronos No. 36 (NOVEMBER 2010), pp. 266-277.

23. Thomas David Dubois, “Hegemony, Imperialism, and the Construction of Religion in East and Southeast Asia”, History and Theory Vol. 44, No. 4, Theme Issue 44: Theorizing Empire (Dec., 2005), pp. 113-131.

24. Tullio Scovazzi, “The Italian Approach to Colonialism: The First Experiences in Eritrea and Somalia”, in: A History of International Law in Italy, Giulio Bartolini(ed.), Oxford University Press, 2020, pp.334-358.

25. Uoldelul Chelati Dirar, “Colonialism and the Construction of National Identities: The Case of Eritrea”, Journal of Eastern African Studies, Volume 1, 2007 - Issue 2, pp.256-276.

26. Walter D. Mignolo, “On the Colonization of Amerindian Languages and Memories: Renaissance Theories of Writing and the Discontinuity of the Classical Tradition”, Comparative Studies in Society and History Vol. 34, No. 2(Apr., 1992), pp. 301-330.

27. Yemane Mesghenna, “Italian Colonialism in Eritrea 1882-1941”, Scandinavian Economic History Review, 37/3, pp.75-72.